فكاهات

شرلوك هولمز[1]

— ٢١ —

الحية الرقطآء

من الحوادث الغريبة التي تستحق التسطير الحادثة الآتي شرحها وهي مما حصل عند اول معرفتي بصديقي شرلوك ولكنني لم استطع تدوينها قبلاً بناءً على وعدٍ صدر مني . اما الآن وقد ماتت السيدة التي يهمها شيوع هذه الحادثة فلا اجد مانعاً يمنع من نشرها لتخليد ذكر ذلك الصديق العجيب بل من الضروري ان تنشر الحادثة ليتبين سبب وفاة الدكتور رويلوت الآتي ذكرهُ الذي استغربهُ كل من سمع بهِ ولم يعرف حقيقتهُ احد

كنت لا ازال عزَباً اسكن وشرلوك هولمز بيتاً واحداً فحدث في اوائل شهر ابريل سنة ١٨٨٣ انني استيقظت صباحاً فوجدت شرلوك لابساً وواقفاً بجانب سريري . فعجبت لقيامهِ قبل عادتهِ واستأت لانهُ ايقظني قبل وقتي . ولحظ ذلك مني فقال اتأسف جدًّا يا عزيزي وطسن اني ايقظتك باكراً ولكن ليس الذنب ذنبي فان الخادمة استيقظت فايقظتني فايقظتك . قلت وما الداعي الى ايقاظك فهل احترق المنزل او حدث امر عظيم اوجب ذلك . قال كلا بل قد جآءني زائر يطلب مساعدتي وتقول الخادمة ان الزائر سيدة جآءت في منتهى السرعة والتهيج والحّت في طلب مقابلتي وهي تنتظر في غرفة الجلوس . ولا شك ان فتاةً تنهض في مثل هذه الساعة وتوقظ الناس من اسرّة نومهم لا بد ان يكون الدافع لها في غاية الاهمية

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

واذ ذاك فمن الواجب ان نتتبع الامر من بدآءتهِ ولذلك احببت ان اخبرك كي لا ادع لك سبيلاً لملامتي

ولم يكن لديّ الذ واشهى من اتباع شرلوك في القضايا المسلمة اليهِ ودرس ملاحظاتهِ وكيفية توصلهِ الى النتائج فنهضت للحال وفي أقل من خمس دقائق ارتديت ملابسي ونزلت معهُ الى غرفة الاستقبال فوجدنا سيدة بثوب اسود وعلى وجهها برقع صفيق ولما دخلنا نهضت قائمةً فحياها شرلوك قائلاً انا ياسيدتي شرلوك هولمز وهذا صديقي الدكتور وطسن فيمكنكِ ان تتكلمي امامهُ بكل حرية ولكنني اراكِ ترتجفين فاقتربي من النار . فقالت انني لا ارتجف من البرد يا سيدي بل من شدة خوفي وخطورة امري ثم رفعت برقعها فرأينا على وجهها علامات الخوف الشديد . وظهر لنا انها لا تكاد تبلغ الثلاثين من عمرها مع بدء ظهور الشيب في شعرها وتغضّن جلد وجهها . فنظر اليها شرلوك بلطف وقال سكني روعكِ يا سيدتي فاننا سنتمكن ان شآء الله من نفي مخاوفكِ . فقالت اشكر فضلك يا سيدي فانني قد اصبحت في حالة لا صبر لي عليها وليس لي من اشكو اليهِ حالتي الا شخصٌ واحد يهتم بامري ولكنهُ وا اسفاه ضعيف لا يقدر على شيء وقد سمعت عنك يا مستر هولمز من صديقةٍ لي تدعى مسس فارنتوش فاتيتك للحال راجيةً مساعدتك او على الاقل نصيحتك . واعلم انهُ لا يمكنني ان اكافئك الآن ولكنني سأتزوج بعد شهرين واصير مطلقة التصرف في مالي الموروث فترى اذ ذاك انني لست بخيلة

وكان شرلوك قد عمد الى دفتر مذكراتهِ عند سماعهِ اسم فارنتوش و بعد ان قلّب فيهِ قليلاً قال نعم قد كانت لي يد في قضية مسس فارنتوش وذلك قبل ان اتفقت واياك يا وطسن . ثم نظر الى الزائرة وقال انني اعدكِ يا سيدتي ببذل جهدي اما المكافأة فان اعمالي تكافئ نفسها واما اذا شئتِ ان تدفعي ما ربما يلزمنا من النفقات فانتِ وما ترين متى شئتِ . والآن ارجو منكِ ان تطلعينا على امركِ

فتنهدت الزائرة وقالت آه ان حالتي مجرد خوف من امور لعلك اذا ذكرتها لك تهزأ بها والشخص الوحيد الذي يهمهُ امري حين اطلعتهُ عليها ضحك وقال

انها اوهام ولَّدها فيَّ مزاجي العصبي ولكنني سمعت عنك يا سيدي ما جعلني اعتقد انك تنظر الى كل شيء باهتمام ودقة مهما ظهرت دلائلهُ بسيطة وصبيانية . فاعلم ان اسمي هلن ستونر وانا اقيم مع زوج والدتي وهو الحيّ الوحيد الباقي من اسرةٍ قديمة سكسونية في انكلترا من ايالة موران . وقد كانت هذه الاسرة من الغنى على جانب عظيم وامتدّت املاكها الى بركشيد غرباً ولكن في القرن الغابر تعاقب على ارث الاسرة اربعةٌ مسرفون انفقوا اكثر من نصف قيمتها ثم آلت بعدهم الى مقامرٍ اجهز على الباقي ولم يترك بعدهُ سوى بضعة افدنة من الارض ومنزل قديم جدًّا تتداعى جدرانهُ الى السقوط تحت اثقال الرهون وورثهُ عمو والدتي وهو الذي ذكرتهُ لك ويسمى المستر رويلوت فكان عاقلاً ولكنهُ بقي ساكناً في ذلك المنزل يعيش عيشة الذل المستتر شأن الاشراف اذا افقرهم الدهر . ورأى ابنهُ ان يعتمد على نفسهِ في تحسين حالتهِ فاستدان مالاً من احد الاصدقآء ودرس الطب ولما نال شهادة تلك الصناعة سافر الى كلكتا واخذ يتعاطى حرفتهُ فنجح نجاحاً باهراً . ولكنهُ شعر يوماً ان خادمهُ الهندي يسرقهُ فضربهُ ضرباً برَّح بهِ واماتهُ ولم ينجُ من الاعدام الا بالجهد ولكنهُ سُجن مدة طويلة ولما أُطلق سراحهُ عاد الى انكلترا في منتهى اليأس والحزن . وكان المستر رويلوت هذا في اثنآء اقامتهِ في الهند قد تزوج بوالدتي وهي اذ ذاك ارملة الجنرال ستونر من مدفعية بنكال ولها ابنتان توأمتان انا وشقيقتي جوليا ولنا اذ ذاك من العمر سنتان . وكانت والدتي مثرية يبلغ دخلها السنوي الف ليرة استرلينية فكتبت ما تملكهُ لزوجها رويلوت بشرط انهُ متى تزوجنا يدفع لنا مبلغاً سنويا معيناً . وبعد ان رجعنا الى انكلترا بوقت قليل قُتلت والدتي باصطدام القطار الحديدي وذلك منذ ثماني سنوات وظهر ان هذا الحادث زاد في كآبة الدكتور رويلوت فترك صناعتهُ في لندن وذهب بنا لنعيش في المنزل القديم المذكور آنفاً في موران . وكانت الاموال التي تركتها والدتي كافية لمعيشتنا فلم يكن ما يقف في سبيل راحتنا وسعادتنا غير ان اطوار الدكتور تغيرت كثيراً فصار يبتعد عن الاصدقآء والمعارف ويسجن نفسهُ في غرفتهِ ولا يخرج منها الا ليخاصم من

يجدهُ امامهُ وكانت حدة الطبع موروثة في اسرتهِ بما يقارب الجنون ولا شك ان اقامتهُ في البلاد الحارة مدة طويلة زادت فيهِ تلك الحدة . وحدث في الاسبوع الماضي انهُ تنازع مع حداد فضربهُ ثم قذفهُ من مكانٍ عالٍ الى النهر ولكن الحدّاد سلم واضطررت ان اذهب بنفسي واسترضيهُ بشيء من المال حتى اشتريت سكوتهُ . اما الاصحاب الوحيدون الذين يحبهم الدكتور فهم النوَر المتجولون فيسمح لهم بنصب خيامهم في حديقتهِ ويختلط بهم واحياناً يغيب معهم اسبوعاً بتمامهِ . وهو مولع بالحيوانات الهندية وله عميل يرسلها اليهِ وعندهُ الآن منها جرو نمر ونمس اطلقهما في الحديقة فصار اهل البلدة يخافون الدنوّ من منزلنا . فتصوّر يا سيدي كم كانت حياتي وحياة شقيقتي جوليا شقية ولا سيما وان الخدامين عافوا خدمتنا فاضطررنا ان نقوم نحن باعمال البيت . ومع ان شقيقتي لم يكن عمرها الا ثلاثين سنة عند وفاتها فان شعرها كان قد وخط الشيب اكثرهُ كما ابتدأت ان اكون انا الآن

فقال شرلوك وهل ماتت شقيقتكِ . قالت نعم منذ سنتين وحديثي يتعلق بوفاتها . ان حياتنا كانت مملة ومتعبة كما ذكرت لاننا لم نكن نرى احداً من البشر سوى خالةٍ كان يسمح لنا بزيارتها من حين الى آخر وهي متقدمة في العمر وحدث منذ سنتين ان زرناها فتعرفت شقيقتي جوليا عندها بضابطٍ في البحرية فاحبها وطلب ان يقترن بها . ولما عرف الدكتور بذلك لم يظهر اقل اهتمام ولكن قبل زواجها باسبوعين حدثت تلك المصيبة المخيفة

فنهض شرلوك باهتمام وقال ارجو منكِ ان تتكلمي بكل تفصيل . فقالت ان منزلنا كما اخبرتك سابقاً قديم العهد لا يُسكَن الاّ في ناحيةٍ منهُ حيث نقيم وغرف النوم في الطبقة السفلى اولاها للدكتور رويلوت وبجانبها غرفة شقيقتي جوليا ثم غرفتي ولا يوجد بينها اتصال بل كلها تشرع الى الدار ونوافذها تطل على الحديقة . ففي الليلة التي اخبرك عنها دخل الدكتور غرفتهُ باكراً وعلمنا انهُ لم ينم لان شقيقتي كانت تشمّ رائحة التبغ الهندي الذي يدخنهُ فتركت غرفتها واتت اليّ فجلسنا نتكلم عن زواجها . وعند الساعة الحادية عشرة نهضت لتخرج فما بلغت الباب حتى

وقفت ونظرت اليَّ فقالت يا هلن هل سمعتِ في عمركِ صفيراً في منتصف الليل . قلت لا . قالت ولا اظن انكِ تصفرين في نومكِ . قلت لا . قالت عجباً فانهُ في الثلاث ليالي الاخيرة عند الساعة الثالثة صباحاً كنت اسمع صفيراً واضحاً يوقظني من نومي ولكنني لم اعلم هل كان من خارج المنزل او من الغرفة المجاورة فقد خطر لي ان اسألكِ لعلكِ سمعتهِ ولكن ليس للامر اهمية فربما كان ذلك من جماعة النوَر . ولما قالت هذا ودعتني وخرجت الى غرفتها وسمعتها تقفل بابها من الداخل فاقفلت غرفتي ايضاً وكنا نفعل ذلك خوفاً من النمر والنمس اللذين كان الدكتور كما ذكرت قد اطلقهما في المنزل كانهما كلبان داجنان . ولكنني لم استطع الرقاد تلك الليلة وقد استولى عليَّ شعور غريب ينبئني بحلول مصيبة وكانت تلك الليلة مظلمة والريح تعصف بشدة والمطر يتساقط بغزارة ومع ذلك فانني سمعت صراخ امرأة تستغيث بلهفة وجزع فعرفتهُ للحال انهُ صوت شقيقتي فوثبت من سريري والتحفت بالملآءة وخرجت الى الدار ولما بلغت باب غرفتي سمعت صفيراً خفيفاً واضحاً كالذي ذكرتهُ لي شقيقتي ثم تبعهُ رنّهُ اشبه بوقوع قطعة معدنية . فاسرعت الى غرفة شقيقتي فوجدت انها قد فتحت القفل ولكنها لم تستطع ان تدفع الباب الى الداخل فوقفت لحظة مذعورة لا اعلم ماذا سيخرج اليَّ من تلك الغرفة . وكان مصباح الدار قد اوصل اشعتهُ الى داخل الغرفة فرأيت شقيقتي وقد امتقع وجهها من شدة الخوف ومدت ذراعيها طلباً للمساعدة وهي تترنح كالسكرى . فاسرعت واخذتها بين ذراعيَّ وكانت ركبتاها قد عجزتا عن حملها فسقطت الى الارض وكانت ترتعش شديداً بتألم . ولما شعرت بوجودي صاحت بي فجأةً بصوتٍ لا انساهُ وقالت « آه يا الهي! يا هلن ! الحبل ! الحبل المخطط » وكانت تود ان تزيد على ذلك شيئاً فلم تتمكن ولكنها كانت تشير باصابعها الى غرفة الدكتور ثم استولى عليها ارتعاش شديد . ولما رأيت ذلك اسرعت لادعو الدكتور فوجدتهُ آتياً بلباس النوم ولما بلغ شقيقتي كانت قد فقدت الشعور فجرعها شيئاً من الكونياك وارسل يستدعي المساعدة الطبية من البلدة فلم يأتِ كل ذلك باقل نفع لانها لم تعد تفيق من غيبوبتها ولفظت نفسها الاخير

ولما نمي الامر الى موضع الايجاب اخذ قاضي التحقيق في البحث المدقق ودرس الامر بمزيد الاعتناء وكان جميع اهل البلدة يخشون الدكتور رويلوت ويخافون اعمالهُ ولكنهم لم يتمكنوا من نسبة الوفاة الى سببٍ ما . وكنت قد اكدت لهم انني سمعت شقيقتي تقفل بابها من الداخل وراوا ان النافذة محصنة بالقضبان الحديدية ثم فحصوا الجدران فوجدوها متينة وليس فيها ولا في ارض الغرفة ما يدل على مدخلٍ سري وتقرر بكل تأكيد ان شقيقتي كانت وحدها في غرفتها عند حصول الحادثة فضلاً عن انهُ لم يُرَ في جسدها ما يدل على اعتداء . ولذلك يغلب على ظني ان وفاتها تسببت عن خوفٍ عظيم من امرٍ لا اعلم ما هو . اما كلام شقيقتي الاخير عن الحبل المخطط فلا اعلم ما هو ويخطر لي احياناً انهُ كلام هذيان الموت واحياناً انها تشير الى افراد النَوَر الذين حماهم الدكتور واسكنهم ارضهُ وربما كانت تريد ان تشير الى لباسهم المخطط

وقد مرت عليَّ سنتان منذ وفاة شقيقتي وانا في حياة الوحدة التامة الى ان كان الشهر الماضي فزارنا فتىً يدعى برسي ارمتيج كنت اعرفهُ من زمن مديد وطلب الاقتران بي فلم يعارض الدكتور في ذلك وتقرر موعد زواجنا في الربيع القادم. ومنذ يومين شرع الدكتور في عمل بعض اصلاحات في المنزل ولما كانت هذه الاصلاحات تقتضي هدم شيء من جدار غرفتي اضطررت ان انتقل الى الغرفة التي توفيت فيها شقيقتي وانام في سريرها . ولكنني بينما كنت لا ازال مستيقظة على السرير سمعت نفس الصفير الذي كان نذير وفاتها فوثبت من سريري كالمجنونة وانرت المصباح فلم ارَ شيئاً ولكني لم اعد استطع الرقاد تلك الليلة فارتديت ثيابي وبقيت على كرسيي ولم اصدق ان لاح نور النهار حتى خرجت فاكتريت عربةً اوصلتني الى محطة القطار فركبتهُ واتيت اليك . وقد اطلعتك على حديثي بتمامهِ فارجو ان لا تبخل عليَّ بارشادك

فقال شرلوك قد فعلتِ حسناً بمجيئكِ اليَّ لكن يظهر لي انك ابقيتِ من حديثكِ شيئاً كانكِ تريدين ابعاد اللوم عن الدكتور رويلوت فانكِ اخفيتِ عني ذكر

سبب هذه العلامات الحمرآء على معصمكِ التي تدل على محل ابهام واربع اصابع يدٍ قبضت عليكِ بعنف . فتاون وجه الفتاة من الخجل وحاولت ان تخفي يدها . وقالت لم اذكر لك انهُ منعني من الخروج ولم احسب لذلك اهمية اما علامة اصابعهِ فلا انكر انهُ رجل شديد القوة وهو نفسهُ يجهل مقدار قدرتهِ

وعقب ذلك سكوت كان في اثنآئهِ قد اسند شرلوك رأسهُ الى راحتهِ وشخص ببصرهِ الى نار الموقد ثم كانهُ انتبه فجأةً فقال ان هذه الحادثة في غاية الاهمية فلا ينبغي ان نضيع شيئاً من الوقت فاذا ذهبنا معكِ الآن الى موران فهل يمكننا ان نرى غرف المنزل بدون ان يعلم زوج والدتكِ . قالت انهُ ذكر لي اليوم صباحاً انهُ سينزل الى لندن لاشغال ضرورية ومن المؤكد انهُ سيغيب كل النهار فاذا اتيتما لا يعلم احد بزيارتكما الا الخادمة وهي عجوز ضعيفة العقل لا يصعب عليَّ ان اخفي حضوركما عنها . والآن فان لديَّ بعض حاجاتٍ اقضيها هنا فسأذهب لقضآئها واعود الى موران في قطار الظهر . ورأى شرلوك فيَّ رغبةً لمرافقتهِ فقال لها حسنٌ ونحن سنتبعكِ في اول قطار بعد الظهر . فشكرتهُ الفتاة ثم انزلت برقعها وخرجت وهي تقول الى الملتقى

و بعد خروجها قال شرلوك لا شك ان قصة هذه الفتاة غريبة الحوادث فانهُ ما دامت جدران الغرفة و بابها ونافذتها في تمام الحفظ فكيف ماتت شقيقتها وما هو معنى الصفير الذي سمعتهُ وما هو مغزى كلمات المائتة . ثم ان ما سمعتهُ الفتاة من الرنة المعدنية ووجود قبيلة النوَر التي يحبها الدكتور ويحميها مما يجعل باباً للافتكار. وقد تحققت واقتنعت ان الدكتور لا يحب ان تتزوج الفتاتان وهذا طبيعي لانهُ بزواجهما يضطر الى ان يدفع لهما سنوياً ما اوصت بهِ والدتهما ولا اظن انهُ يمكنني الحكم بشيء قبل ان اذهب بنفسي فارى المنزل عسى ان يظهر لي في نفس الغرفة ما يوضح بعض المبهمات . ولم يكد شرلوك يتم كلامهُ حتى فُتح باب غرفتنا فجأةً ودخل منهُ رجل ضخم الجثة بلباس يختلط بين لباس قروي وطالب علم ثم رفع قبعتهُ العالية وجعل ينقل نظرهُ الحادّ المخيف من الواحد الى الآخر ثم قال مَن

منكما المستر هولمز . فقال لهُ شرلوك انا هو ولكن مَن انت وماذا تريد . فقال الرجل وقد بانت على وجههِ علائم الغيظ الشديد انا الدكتور رويلوت من بلدة موران وقد اتت ابنتي الى هنا وعلمت ذلك لانني كنت اتعقبها وقد اتيت لاعلم ماذا فعلت وماذا قالت لك ولاخبرك يا شرلوك انني سمعت عنك واعرفك انك رجلٌ شرير تتداخل في ما لا يعنيك وتهتم باشغال غيرك ه . . فقاطعهُ شرلوك ببرود قائلاً ان حديثك لا يسرّ يا هذا فاسألك ان تقفل الباب من الخارج لان الهوآء البارد يضايقنا. فزاد هياج الرجل وارغى وقال كلا لن اخرج قبل ان انبهك ان لا تتداخل في اموري فاني رجل مخيف والويل لك اذا وقفت في طريقي. ولما قال هذا عمد الى قضيب حديدي غليظ فقبض عليهِ بيديهِ وثناهُ ثم رمى بهِ الى الارض كانهُ يرينا مقدار قوتهِ ثم خرج مسرعاً . فتبسم شرلوك واخذ القضيب الحديدي واعادهُ الى حالتهِ بسهولة وقال لو بقي زائرنا دقيقة لأريتهُ ان قوتي تعادل قوتهُ ولكنهُ قد زاد ثقتي بانهُ شرير لا يخلو من ان لهُ يداً في مقتل الفتاة وسنرى من منا يفوز وارجو ان لا يكون في تأثرهِ الفتاة ما يسبب لها خطراً قريباً

وتناولنا طعام الصباح ثم خرج شرلوك لبعض حاجات وعاد في الساعة الواحدة بعد الظهر وفي يدهِ ورقة عليها كتابة دقيقة وارقام فقال لي قد استقصيت خبر ثروة والدة الفتاة فعلمت ان املاكها عند وفاتها كان ريعها السنوي ١١٠٠ ليرة ولكن الآن اصبح دخلها لا يزيد على ٧٥٠ ليرة بسبب هبوط الاسعار فلو تزوجت كل واحدة من الفتاتين لحقَّ لها ٢٥٠ ليرة سنوياً فلا يبقى للدكتور الا ما لا يكفيهِ ولذلك لم يبقَ عندي شك انهُ يجتهد في منع الفتاتين عن الزواج . واعتقد ان الخطر قريب الآن ولا سيما بعد ان عرف بانني تداخلت في الامر فيجب ان لا نضيع الوقت فاتبعني يا وطسن ولا تنس ان تحضر مسدسك معك لانهُ لا بد ان يلزمنا في منزل رجل يلوي القضبان الحديدية كما رأيت . وكانت المركبة التي احضرها شرلوك في انتظارنا فركبناها الى محطة القطار ومنها الى بلدة موران فركبنا عربة اخرى وسار بنا سائقها الى جهة منزل الدكتور رويلوت . ولما قاربناهُ رأى شرلوك

الفتاة عند طرف الحديقة فمر السائق بالوقوف ونقدهُ اجرتهُ ثم تقدمنا على اقدامنا وكانت الفتاة قد اتت لاستقبالنا فقالت كنت انتظر كما بمزيد القلق لانني تحققت بعد عودتي ان الدكتور في لندن ولا يرجع قبل المسآء . فقال شرلوك نعم وقد شرفنا بزيارتهِ بعد خروجكِ ثم اخبرها بما جرى . فاظهرت الفتاة علامات الدهشة والخوف فقال لها شرلوك لا شك ان الدكتور سيحترس كثيراً متى رأى امهر منهُ في كشف اعمالهِ ولكن على كل حال يجب ان تحترسي منهُ هذه الليلة . والآن دعينا نشاهد الغرف قبل فوات الوقت فسارت امامنا وتبعناها . وكان المنزل مبنيًّا من حجر مسودّ ولهُ جناحان احدهما تدل نوافذهُ المكسرة وحالتهُ المتداعية انهُ خربٌ ومهجور اما الجناح الاخر فكان في حالة صالحة . وكان شرلوك يسير ببطء يراقب و يتبصر في كل شيء حتى بلغنا الغرف فقالت الفتاة هذه هي غرفة الدكتور والغرفة الملاصقة لها هي التي كانت لشقيقتي والتي بجانبها هي غرفتي ولكنني كما ذكرت قد انتقلت الى غرفة شقيقتي بسبب الاصلاحات التي يجرونها الآن في هذه الجدران . فوقف شرلوك حيناً يتأمل وقال ان الترميمات الجارية لا تستدعي ان تغيري غرفتكِ وكان يمكنكِ البقآء فيها . ثم عمد الى نافذة الغرفة الوسطى فاقفلها من الداخل ثم خرج وجعل يحاول فتحها بكل عنف فلم يستطع ثم اخرج عدسيتهُ ففحص المفاصل الحديدية وجوانب الجدران و بعد تأملٍ قليل قال هيا بنا الى داخل الغرفة لنرى . فدخلنا الى الغرفة التي ماتت فيها الفتاة وكان شرلوك يسير في مقدمتنا كأنهُ هو صاحب المنزل . وكانت الغرفة صغيرة قريبة السقف وفيها سرير ومائدة ومغسلة وخزانة ثياب فاخذ شرلوك كرسيًّا وجلس عليهِ وجعل يتأمل في الغرفة بكل دقة وكان اثاثها قديماً جدًّا ثم وقع نظرهُ على حبلٍ متدلٍّ بجانب السرير يتصل طرفهُ بالمخدة فقال للفتاة ان هذا ولا بد حبل الجرس و يظهر انهُ جديد اكثر من باقي موجودات الغرفة فهل كانت شقيقتكِ تستعملهُ . فقالت هو حبل جرس يتصل بغرفة الخادمة وقد وضع منذ سنتين فقط ولكن شقيقتي لم تكن تستعملهُ لندآء الخادمة لاننا كنا نقضي حوائجنا بانفسنا . فعاد شرلوك الي تأملهِ وكان كأنهُ في غيبوبة ثم اخذ حبل الجرس بيدهِ

وشدّهُ شدًّا عنيفاً فلم يقرع . واذ ذاك ابرقت اسرّتهُ فقهقه ضاحكاً وقال ان هذا ليس متصلاً بجرس بل هو حبل مربوط بمسمار حديدي في السقف بقرب تلك النافذة الضيقة التي عُملت على ما اظن لادخال الهوآء الى الغرفة. ولكن من الغريب ان يفتح البنّآء مثل هذه النافذة الصغيرة للهوآء ويجعلها بين هذه الغرفة والغرفة المجاورة ولا يفتحها الى الخارج او يجعلها على الاقل اوسع مما هي مرةً اخرى . فاقتربت الفتاة وهي تتعجب وقالت لم يكن يخطر لنا قط ان نجرّب هذا الجرس ولكنني الان ارى حقيقة انهُ ليس بجرس . واما النافذة فليس الذنب فيها على البنّآء بل هي من جملة اصلاحات عملها زوج والدتي في البيت . فقال شرلوك واظنهُ فتح هذه النافذة عند ما وضع هذا الحبل اي منذ سنتين فلا ريب ان ههنا اموراً في منتهى الغرابة . ثم تبسم ثانيةً وقال قد بقي علينا زيارة غرفة الدكتور

اما انا فرأيت من ملامح شرلوك انهُ قد وقف على سر الامر مع اني لم افهم منهُ شيئاً . وكانت غرفة الدكتور اكبر من الاولى و بسيطة الاثاث جدًّا فيها سرير ورفّ عليهِ كتب وكرسي بجانب السرير وآخر قرب الحائط ثم مائدة مستديرة وصندوق حديدي كبير . وكان شرلوك يتنقل من قطعة الى اخرى يفحصها بدقتهِ المعهودة حتى بلغ الصندوق الحديدي فسأل الفتاة عمّا يوجد فيهِ فقالت اني لم ارهُ مفتوحاً الا مرة واحدة وهو يحتوي على اوراق الدكتور الخصوصية المتعلقة باشغالهِ . ورأى شرلوك صحناً صغيراً فيهِ قليل من اللبن فقال ولمَ هذا فهل يربي الدكتور قطًّا في غرفتهِ . قالت لا ولكني قد اخبرتك انهُ يربي جرو نمر ونمساً . فقال شرلوك عفواً ياسيدي فان امثال الحيوانين اللذين ذكرتهما لا يكون طعامها من اللبن ولا يجعل في صحن صغير كهذا . ثم حانت منهُ التفاتة فرأى بجانب السرير سيراً جلديًّا كالذي تربط بهِ الكلاب وهو ملفوف ومعقود فنظر اليهِ يتأملهُ ثم هز رأسهُ وقال الويل الويل للاشرار نعم ان الانسان اذا حول قوتهُ الفكرية الى عمل الشر تحول كلهُ الى ابليس بنفسهِ . ولما قال هذا خرج ونحن نتبعهُ حتى بلغنا الحديقة فنظر الى الفتاة وقال يا مس ستونر انهُ من اللازم المحتّم ان تعملي بنصيحتي حرفيًّا لان الامر

في غاية الاهمية وتتوقف عليهِ حياتكِ . فقالت مرني يا سيدي بما تشآء ترني اطوع من بنانك . وكان في البلدة فندق بازآء المنزل فقال شرلوك يجب ان ابيت الليلة مع صديقي وطسن في غرفتكِ وسنذهب الآن الى الفندق اما انتِ فالزمي غرفتكِ واحتجي بصداع اليم يمنعكِ من الخروج ومتى عاد الدكتور ودخل الى غرفتهِ لينام فافتحي النافذة التي ترمي الى الحديقة وضعي مصباحكِ فيها علامةً لنا ثم خذي ما يلزمك واذهبي الى الغرفة الثانية التي كانت غرفتكِ الاصلية ونامي فيها فاننا نأتي نحن الى هذه الغرفة وسنصرف الليل فيها عوضاً عنكِ ونرى ما يكون. وقد صار من الواجب الآن ان نسرع في الخروج لانهُ اذا عاد الدكتور ووجدنا هنا فسد عملنا كلهُ فلا تنسي ما اوصيتكِ بهِ وتشجعي فلا بأس عليكِ

وذهبنا الى الفندق فاكترينا غرفتين كانت نوافذهما تطل على المنزل المذكور وعند غروب الشمس رأينا الدكتور قد عاد بعربتهِ ثم ما عتمنا ان رأينا النور في غرفتهِ . وبعد قليل قال لي شرلوك اعلم يا وطسن انني أراجع فكري في أخذك معي هذه الليلة لانهُ مع أن وجودك برفقتي قد يكون أثمن من كل شيء فانا أعلم أنهُ تحف بهِ اخطارٌ مخيفة أود أن اكفيك التعرض لها . فقلت ان كلامك هذا يزيدني رغبةً في ان لا أدعك تتعرض للخطر وحدك ويظهر لي انك رأيت في تلك الغرفة ما لم أرهُ أنا . قال كلا بل قد رأينا كلانا نفس الشيء ولكنني أعملت تصوراتي اكثر منك . قلت أنني لم أرَ ما يستحق الفكر الا وجود حبل الجرس المربوط بالحائط فلم أفهم المقصود منهُ ورأيت النافذة التي للهوآء بين الغرفتين ولكن وجود مثل هذه النوافذ طبيعي في البنآء وفضلاً عن ذلك فانها صغيرة جدًّا لا يكاد الجرذ يستطيع المرور منها . فقال شرلوك نعم انني علمت بوجودها قبل ان اجيء الى المنزل لان مس ستونر في حديثها اخبرتنا ان شقيقتها كانت تشم رائحة التبغ الذي يدخنهُ الدكتور . ثم ان هذه النافذة لم تكن في اصل البنآء بل هي حديثة وكان عملها في نفس الوقت الذي علق فيهِ حبل الجرس وتبع ذلك وفاة الفتاة على سريرها . وقد لاحظت ايضاً ان السرير في تلك الغرفة قوائمهُ مثبتة في الارض على غير المعتاد

وذلك لكي يبقى السرير تحت النافذة المذكورة والحبل فلا تستطيع الفتاة نقلهُ الى جهة اخرى من الغرفة . واذ ذاك اشرق عليَّ وميض من فكر شرلوك فصحت بهِ لله درك يا صديقي شرلوك وأرانا في وقت يجب ان نمنع فيهِ حدوث فظاعة هائلة . فقال نعم انها فظاعة هائلة وارى اننا سنصرف ليلاً مخيفاً جدًّا فلنكن على استعداد

وعند الساعة التاسعة اطفئ النور من منزل الدكتور رويلوت وساد السكون والظلام ومرت بنا ساعتان ونحن نترقب الى الساعة الحادية عشرة فرأينا نوراً يلمع في النافذة فنهض شرلوك وقال هذه هي العلامة المتفق عليها فهلمَّ بنا . فخرجنا بعد ان اوصينا صاحب الفندق ان لا ينتظرنا لاننا ربما نغيب الى الصباح والتحفنا الظلام حتى بلغنا الحديقة فتسلقنا جدارها وسرنا بين الاشجار يقودنا المصباح الضعيف الذي تركتهُ لنا الفتاة الى ان اقتربنا من النافذة فتسلقناها ودخلنا الغرفة وأغلق شرلوك النافذة ورآءنا بدون اقل صوت . ثم نقل المصباح الى الداخل وجعل يكلمني همساً خفيفاً جدًّا فقال اياك والحركة فان اقل اشارة تدل على وجودنا تهدم آمالنا ويجب ان نبقى في الظلمة لئلا يرانا من النافذة واياك ان تنام لان حياتك ربما تتوقف على ذلك وأبقِ مسدسك بالقرب منك واجلس على ذاك الكرسي اما انا فسأبقى على جانب السرير . فجلست كما امرني ووضعت مسدسي بيدي وجلس شرلوك على السرير وبيدهِ عصاً كان احضرها معهُ وشمعة وعلبة ثقاب ثم اطفأ المصباح فساد علينا الظلام .

انني لن انسى تلك الليلة المخيفة المظلمة فاننا لم نكن نسمع فيها اقل صوت الا حفيف اجنحة الطيور الليلية حيناً بعد آخر في الحديقة وضربات ساعة الكنيسة التي كانت تقرع كل ربع ساعة وكانت تلك الساعات تظهر لنا اعواماً . وكنت اعد الساعات الى ان قرعت الساعة الثالثة واذا بنور ضعيف قد ظهر فجأة عند النافذة الصغيرة ثم اختفى حالاً وتبعهُ رائحة قوية من الزيت المحرَق والمعدن المحمى فعلمت ان الدكتور في الغرفة المجاورة قد انار فانوسهُ البسري ثم سمعت حركة خفيفة وعاد السكون . وبعد نصف ساعة سمعت حركة اخرى تبعها صوت اشبه بخروج البخار

المحصور وفي تلك اللحظة عينها رأيت شرلوك قد اشعل الثقاب فانار الشمعة واخذ يضرب بعصاهُ الحبل المدلى فوق السرير بعنف شديد ونظرت اليهِ فاذا وجههُ اصفر اللون وعليهِ علامات القلق والارتياع . ثم توقف عن ضرب الحبل وشخص الى النافذة و بعد اقل من نصف دقيقة سمعنا صوتاً مخيفاً لم اسمع صوت توجع وتألم نظيرهُ في حياتي وكان يستطيل ويزيد قوةً حتى وقفت مع شرلوك ننظر بعضنا الى بعض بخوف وقد جمد الدم في عروقنا . واذ ذاك قال لي شرلوك قد قضي الامر يا وطسن فخذ مسدسك وتعالَ معي الى غرفة الدكتور ثم انار المصباح وسار امامي فتبعتهُ وخرجنا الى الدار ومنهـا الى الغرفة الملاصقة فقرع بابها مرتين ولما لم يسمع جواباً دفع الباب فانفتح ودخلنا معاً والمسدس مشهور بيدي فرأينا في الغرفة منظراً مخيفاً . وجدنا على المائدة الفانوس السري وقد فُتح نصفهُ فقط وكان الصندوق الحديدي مفتوحاً والدكتور جالساً بلباس النوم على كرسي بقرب المائدة وفي يدهِ الجلد المعقود الذي كان قد رآهُ شرلوك قرب السرير وكانت عيناهُ شاخصتين الى زاوية السقف وفيهما علامة الخوف الشديد ورأينا حول جبهتهِ حبلاً ثخيناً اصفر وفيهِ نقط سمرآء . فلمـا دخلنا لم ينتبه او يظهر علامة شعور اما شرلوك فاشار الى رأس الرجل وقال لي انظر الى الحبل المخطط الذي اشارت اليهِ القتيلة . واذ ذاك رأيت الحبل المربوط على رأس الرجل قد اخذ يتحرك من نفسهِ ثم ظهر لي انهـا افعى وقد بان رأسها وعنقها . فقال شرلوك انها تدعى صلّ الغاب وهي اشد افاعي الهند سمًّا وقد لدغت الدكتور فمات في اقل من عشر ثوانٍ وصدق قول المثل من حفر حفرةً لاخيهِ وقع فيها . والآن فلنرجع هذا الحيوان الى مخبإهِ وننقل مس ستونر الى محل امين ونعلم رجال الشحنة بالامر . ولما قال هذا اخذ السير الجلدي من يد الميت ورماهُ برشاقة غريبة فالتف حول عنق الافعى فسحبها الى الصندوق الحديدي واقفلهُ عليها. وكانت مس ستونر قد سمعت الاصوات ولم تجسر ان تخرج من غرفتها فلما ذهبنا اليها وجدناها تكاد تموت خوفاً فاخبرناها بالواقع ثم ابلغنا الامر لرجال القضآء . ولما عدنا الى لندن في القطار اخذ شرلوك يحدثني بمـا جرى فقال

انني اول ما سمعت قصة الفتاة ظننت ان لقبيلة النوَر دخلاً في مقتلها ولكنني لما فحصت المنزل والغرفة وجدت انهُ يستحيل دخول احد الى الغرفة وليس فيها ممرّ سوى النافذة الضيقة في اعلى الجدار وهذه لا يكاد الجرذ يمر منها. ولكن لما لم يكن سواها ورأيت الحبل المربوط بجانبها خطر لي ان ذلك ليس الاّ آلة الهلاك وان لم اكن اعلم ما هي وبعد التفكر خطر لي انهُ ربما يكون ذلك الحبل كطريق لافعى تدخل من النافذة وتنزل على الحبل الى الشخص النائم . وزاد فكري هذا ثبوتاً ما عرفتهُ عن الرجل انهُ كان في الهند وانهُ يستحضر منها الحيوانات الشرسة فتحققت انهُ انما يودّ ان يسمّ الفتاة بشيءٍ لا يظهرهُ الفحص الطبي . اما الصفير فكان الدليل القاطع لاستعمالهِ الافعى لتلك الغاية لانهُ بعد انزالها الى الغرفة كان يصفر لها لتعود اليهِ كما علمها ويطعمها اللبن الذي اعدّهُ لها. ولا شك انهُ ربّى الافعى ودرّبها على ذلك مراراً فكان يدخلها من النافذة فتنزل على الحبل الى السرير وربما نزلت مراراً ولم تؤذِ النائم ولكن لا بد لها اخيراً من لدغهِ لان طبيعتها مؤذية سامة . وكنت قد تحققت كل ذلك قبل ان دخلت غرفتهُ اول مرة ولما فحصت الكرسي الموجود فيها وجدت آثار اقدامهِ عليهِ مما دلني على انهُ كان يقف على الكرسي لكي يصل الى النافذة المذكورة وكان الصندوق الحديدي وصحن اللبن والسير الجلدي مما اكد لي ظني . وعلمت ان الرنة المعدنية التي سمعتها الفتاة هي صوت قفل الصندوق الحديدي بعد ان كان يرجع الافعى اليه . فلما تقرر لديّ كل ذلك عزمت ان ابيت في الغرفة بنفسي وكنت مواظباً على تمام الانتباه الى ان سمعت صوت فحيح الافعى فالحال انرت الشمعة وضربتها بعصاي كما رأيت . ولما لم تكن تنتظر تلك المهاجمة عادت راجعةً الى النافذة في الحال وكان ألم الضربات التي أصابتها قد أيقظ فيها طبيعتها المؤذية لتنتقم من أول شخص تصادفهُ فنفثت سمها في نفس صاحبها الدكتور وقتلتهُ . وعلى ذلك اكون عن غير قصد أنا السبب في قتلهِ ولكن ضميري مستريح من هذه الجهة فلا يوبخني على اهلاك شرّير كهذا